نبوغ الشباب

للاستاذ عبد العزيز عتيق

النبوغ تفوق خاص في الملكات الذهنية والقوى الفكرية يرفع الموهوبين فوق المستويات العادية فيدرسهم مايهر وكثيرا مايشتق النبوغ عن فرط في الذكاء، او عن تطور مبكر في المدارك العقلية ومهمايكن فان في النبوغ قدرا موهوبا لادخل فيه للتكسب ولا للتهذيب والتشذيب والنبوغ بالنسبة للعبقرية كالحال عند الصوفية بالنسبة للمقام. فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال بوادر ولوائح والمقامات استقرار واستمرار. فالعبقرية مظهر لتركز النبوغ في دوائر التفكير والتصور والاستنتاج وسائر العمليات الصادرة عن القوى الفكرية التي قد ينمو بعضها فيسفر عن تضخم خاص في احد اجزاء الدماغ كمركز التصور أو الحفظ أو التخيل، وبذلك تنطبع نفس الموهوب إما بملكة الفكر المجرد أو الوعي الخارق أو الروح الشاعرية.

واذا كان هنالك انموذج لاكتمال هذه العناصر، في شخص ابن سينا الذى ظفرت قواه الفكرية وهو لايزال في ريعان الطفولة فقد تفتقت فيه الواعية عن قوة مدهشة فحفظ القرآن وهو دون العاشرة وتناسقت فى ذهنه الملكات العليا، فلم يكد يبلغ السابعة عشرة حتي «ترامت شهرته بالتطبيب والتعليم فى الآفاق الراقية، وعالج الامير نوح بن منصور فشفاه واصاب حيث أخطأ مشاهير الاطباء وفى الثامنة عشرة الف كتاب «المجموع» فأودعه خلاصة علوم عصره ما عدا الرياضيات حتى قال في كهولته: «كنت يومذاك للعلم احفظ ولكنه اليوم معي انضج، والا فالعلم واحد لم يتجدد لى بعده شيء». . وقد عده عمر الخيام من أساتذته مع انه من أبناء الجيل اللاحق بجيله وبرز الشاب الموهوب في معظم العلوم حتى اللغة التي قيل بأنه صنف في غريبها موسوعة كبرى. وظلت ملاحظاته في أدق الفنون والعلوم كالطبيعيات مثلا محل إعجاب من باكون الانجليزى إمام المدرسة التجريبية. وكانت مصنفاته في الطبيعيات من دعائم الفتوح العلمية الحديثة حيث ظلت فى جامعات أوربا موضوع درس ومراجعة مع بحوثه الطبية عدة قرون.

وفي السادسة عشرة من عمره ايضا برع في الفقه حتى صار يناظر فيه كبار

الاصوليين كما بلغ بعد ذلك درجة سامية في النثر الفني حيث صنف على طريقة ابن العميد والصابي والصاحب. وقويت شاعريته ورق شعره الى درجة انه لو لم يشتهر في غيره. وهنالك أفراد كثيرون ظهرت مواهبهم المبكرة في ناحية أو ناحيتين، فالمعري قال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة، وكذلك السفرزدق وابراهيم بن سهل والبحتري حتى إن ابا تمام سمع انشاده وهو فتى فاعجب وقال: «انت والله يابني أمير الشعراء بعدي!». وقد تأهل الشافعي للفتوى في اصول التشريع وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان آية في الذكاء حتى قال فيه المبرد «الشافعي اشعر الناس وآدبهم واعرفهم بالفقه والقراءات» وقد برع في الرماية كما برع في الشعر واللغة وتاريخ العرب.

وكتب يحي ابن اكثم موسوعات في اصول الفقه وهو شاب، وتولى قضاء البصرة وعمره عشرون سنة فاستصغره اهلها، وقد تولى القضاء في مثل هذه السن عتاب ابن اسيد في مكة يوم الفتح ومعاذ بن جبل في اليمن وكعب بن سور على البصرة ايام عمر.

وقد أفتى صدر الدين بن الوكيل وهو ابن عشرين سنة وكان لايقوم لمناظرة ابن تيمية أحد سواه.

وعبد الله بن عباس كان آية في النبوغ، فقد كان سنه لا يتجاوز التاسعة عشرة في اول خلافة عمر بن الخطاب، ومع ذلك كان يستشيره ويصفه بالغوص وقد ذكر ابن عتبة أنه ما رأى أفقه من ابن عباس في رأي ولا شعر ولا عربية ولا تفسير ولا حساب.

وتوفي الرسول عن عائشة الصديقة وهي في الثامنة عشرة، ومع ذلك فقد كانت من اكثر الصحابة حفظا وفتيا، وكان شيوخ الصحابة يستفتونها وقال فيها عروة بن الزبير: «ما جالست احدا قط أعلم بقضاء ولا بحديث بالجاهلية ولا اروى للشعر ولا أعلم بفريضة ولا طب من عائشة»

وغير هؤلاء كثير ممن نبغوا في ميعة الشباب نبوغا مدهشا، فهذا بديع الزمان الهمذاني يناظر وهو في مقتبل العمر ابا بكر الخوارزمي، وكان اذ ذاك شيخا يناهز الستين، وهذا ابن السكيت يناظر - وهو في طمرة الشباب - ابا الحسن على اللحياني. وهذا ابو بكر الظاهري يتصدر للتدريس في حلقة والده على اثر وفاته. وقد الف في شبابه كتاب «الزهرة» وانتحل الاشعري مذهب الاعتزال عن دراية وعلم منذ صباه والف البخاري صحيحه لست عشرة سنة.

ولعل هنالك ما هو أدهى للاندهاش فقد وصف ابن عبد الملك في الذيل والتكملة طفلا في القرن السادس ظهر منه نبوغ غريب ادى الى شيوب حوادث أودت بحياته وحياة والده .

وذكر الخطيب البغدادي في الكفاية ان القاضي عبد الله الاصبهاني حفظ القرآن وهو ابن خمس سنين وحمل الى ابي بكر المقري ليسمع عليه الحديث وهو ابن أربع . ونقل ابراهيم بن سعيد الجوهري أنه شاهد صبيا ابن اربع سنوات قد حمل الى المامون وقد قرأ القرآن ونظر في الرأى (يعني الفقه) غير أنه اذا جاع بكى

وروى الابري عامة كتب شيخه عبد الرزاق ونقلها الناس عنه مع انه عند وفاة شيخه لم يكن الا ابن ست أو سبع سنين . وروى القاضي ابو عمر القاسم ابن جعفر الهاشمي سنن ابي داود عن ابي علي اللؤلؤي ورواها الناس عنه ومات شيخه وله خمس سنين .

وذهب ابو عاصم بابنه الى ابن جريج ليسمع عليه الحديث والقرآن وهو ابن اقل من ثلاث سنين . وروى عبد الله بن الزبير الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك توفى الرسول وهو ابن ثمان سنين . وهو الذي كان له مائة غلام على ما يحكى لكل غلام لغة خاصة فكان يخاطب كل غلام بلغته .

وذكر السخاوي في فتح المغيث ان سفيان ابن عيينة قرأ القران وهو ابن اربع سنين وكتب الحديث وهو ابن سبع ، وقد حفظ المصعب ابن الهائم القرآن والعمدة وجملة من الكافية وهو ابن خمس سنين . وذكر ابو بكر الاسماعيلي عن حفيده معمر أنه حفظ القرآن وعلم الفرائض واجاب في مسألة أخطأ فيها بعض القضاة وهو ابن سبع سنين وذكر ابن العماد الحنبلي أن تقي الدين السبكي درس بدمشق بالمدرسة الامينية وهو ابن سبع سنين وولى خطابة الجامع الاموي بعد ابيه وله عشر سنين

وفي سادس شذرات الذهب ان بدر الدين السبكي درس وافتى وحدث وعمره خمس عشرة سنة في حياة جده تقي الدين وكان اماما عالما بارعا أوحد .

وابو حامد السبكي مهر في العلوم وافتى ودرس وله عشرون سنة وولى وظائف ابيه في القاهرة وله احدى وعشرون سنة .

وقد أتم ابن الصارم مصنفاته العشرين قبل ان يبلغ عشرين سنة (البدر الطالع ج ٢ ص ٢٤٠). وكان احمد الفيرم بن سيدي عمر الكنتي يحفظ الف مجلد.

تلك نماذج خاطفة تتجلى فيها عبقرية الشباب الاسلامي ونبوغه وكم لها من نظائر واشباه يضيق المجال عن استعراضها وهي تعطي لشبابنا المتوثب برهانا عن مدى حيوية فتيان الامس الذين كانوا بوتقة نابغة انصهرت فيها معادن المعرفة في مجلاها الاخاذ!

تقرأون في هذا العدد

يا شباب المغرب . . . . . : لحضرة صاحب الصمو الملكي مولانا الحسن ٣ - ٨
الربيع والشباب . . . . . : عبد الكريم غلاب . . . . . ٩ - ١١
الربيع الجديد . . . . . : عبد المجيد بن جلون . . . ١٢ - ١٤
الامل المنشود . . . . . : محمود تيمور بك . . . . ١٥ - ٢١
قصة الفتية المغاربة واكتشاف امريكا : محمد القاسمي . . . ٢٢ - ٣٠
صحة الشباب . . . . . : الدكتور عبد الملك فرج . . ٣١ - ٣٥
نبوغ الشباب . . . . . : عبد العزيز بنعبد الله . . ٣٦ - ٣٨
ربيع الحياة . . . . . : الهاشمي الفيلالي . . . ٣٩ - ٤٠
من رسائل الطلبة . . . . . : عبد الكريم بن ثابت . . ٤١ - ٤٤
جمعية الطالب المغربي . . . : أحمد الادريسي . . . ٤٥ - ٥١
رسالة المرأة | الفتاة المغربية بين مراحل التعليم . باحثة الحاضرة ٥٢ - ٥٤
رسالة المرأة | الفتاة الموهوبة مريم مزيان . . . ٥٥ - ٥٨
شبابنا . . . . . : عبد السلام العلوي . . . ٥٩ - ٦٣
الزعيم علال الفاسي . . . . . ٦٤ -
فقدت شبابي . . . . . : شاب . . . ٦٥ - ٦٧
حاجتنا الى ثقافة مزدوجة . : عبد القادر العمراني . . ٦٨ - ٧٠
ديوان الرسالة | من أنت..! . عبد المجيد بن جلون . ٧١ - ٧٢
ديوان الرسالة | ميلاد الزهور . محمد الحلوي . ٧٣ - ٧٥
ديوان الرسالة | بين الربيع والشباب علال الفيلالي . ٧٦ - ٧٧
ديوان الرسالة | الابتسامة . لشاعر امريكي . ٧٧ -
ديوان الرسالة | ايها الشعراء . لفيكتور هوجو ترجمة محمد العباج ٧٨ - ٨٠
الربيع والشباب . . . . . : محمد بن زيان . . . ٨١ - ٨٢
احاديث رسالة المغرب - مع طلبة القرويين ومعهد الدروس المغربية ٨٣ - ٨٧
رسالة الشهر . . . . . ٨٨ - ٩٠
أخبار مختصرة . . . . . ٩١ - ٩٢
شكر من جمعية الطالب المغربي : عبد القادر الكحاك . . . ٩٣ -